مجلة

البعث الاسلامى

لسان حال الدعوة الاسلامية فى العالم العربى

تصدرها دار العلوم التابعة لندوة العلماء لكهنؤ - الهند

إشتراكاتها :

فى الهند و باكستان ٥ روبيات للسنة الواحدة

فى البلاد العربية والخارج ٧٥٠ فلساً عراقياً

أو ما يعادلها للسنة الواحدة

نصف روبية لعدد واحد

إلى

قمة القيادة العالمية

أبو الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سورة الاسراء التى تتضمن قصة الاسراء تضم « أعلانات » صارخة لافتة يبتدئ بها عهد جديد فى تاريخ الأديان ، و فى مصير الأمم .

تضم هذه السورة الكريمة إعلاناً بانقضاء عهد قيادة بنى إسرائيل الدينية والخلقية و سيادتهم الروحية والسياسية التى أكرموا بها بفضل النبوة والملوكية اللتين اجتمعتا فيهم (١) و ظلوا يتمتعون بها دهراً طويلا ، ثم سجلوا

(١) و إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء و جعلكم ملوكا و آتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين (المائدة ٢٠)

www.abulhasanalinadwi.org

على نفوسهم من المآسى والمهازل و تبديل نعمة الله ، و سوء استعمال مواهبهم ، و نقض الميثاق الذى أخذ منهم ، والافساد فى الأرض مرة بعد مرة ، والعلو الكبير ما أوجب انتزاع هذا المنصب الجليل والكرامة التى ليس فوقها إلا النبوة و نقلها إلى أبناء عمومتهم الذين كان اليهود يعيرونهم بالأمية و ينظرون إليهم بعين الاحتقار ،

و تضم هذه السورة الكريمة و قصة الاسراء إعلانا بأن محمداً صلى الله عليه و سلم هو نبى القبلتين ، و إمام المشرقين والمغربين ، و وارث الأنبياء قبله ، و إمام الأجيال بعده ، فقد التقت فى شخصه و فى إسرائه مكة بالقدس والبيت الحرام بالمسجد الأقصى و صلى الأنبياء خلفه ، فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته و خلود إمامته ، و انسانية تعاليمه و صلاحيتها لاختلاف المكان والزمان (٢) .

و ضمت هذه السورة الكريمة إعلاناً آخر ليس

(٢) أخذنا هذه الفكرة الأساسية وانتهينا لها عن طريق البحث القيم الذى جاء فى المجلد الثالث من « سيرة النبى » لأستاذنا العلامة السيد سليمان الندوى فى موضوع الاسراء والمعراج .

بأقل أهمية و قيمة من « الاعلانين الأولين » و هو تحديد شخصية النبى صلى الله عليه و سلم و تحديد زعامته و إمامته ، و تحديد مكانة الأمة التى بعث فيها و آمنت به ، و تحديد رسالتها و دورها الذى ستمثله فى العالم ، و من بين الشعوب والأمم ،

لقد كان محمد صلى الله عليه و سلم — بالقوى التى جبل عليها والمواهب التى خص بها ، والفرص التى أتيحت له — من أجدر الناس بقيادة شعب أو بلاد ، و من أجدر الناس بزعامة أمة تخلفت فى الحياة ، أو عاشت فى عزلة عن العالم ، و من أقوى الزعماء والقادة و أقدرهم على نفخ روح جديد وافتتاح عهد سعيد فى أمة كالأمة العربية ، و فى بلاد كالجزيرة العربية ، و ما أجدره بأن ينظر إليه من تسره عظمة العرب ، و من يهمه مجد العرب ، كمؤسس للأمة العربية الجديدة ، و مؤسس للامبراطورية العربية الجديدة ، و كمؤسس للمجتمع العربى الجديد ، فقد كان كل هذا ، و أكثر و أعظم ، فعلى يده و يد أتباعه المجاهدين انتفضت الأمة العربية انتفاضة

www.abulhasanalinadwi.org

لم تخطر على بال ، و على يده و يد أتباعه قامت الأمبراطورية العربية العظمى التى لم يحلم بها كبار الطامحين ، و على يده و يد أتباعه قام المجتمع العربى الجديد الذى ولد ثقافة ، و ولد أدباً ، و ولد فلسفة ، و ولد حضارة ، كل منها جديد ، و كل منها مفيد ،

لقد كان محمد صلى الله عليه و سلم جديراً كل الجدارة بأن ينظر إليه من هذه الناحية و تتشرف الزعامة القومية بالانتساب إليه و أن نعتبره بطلا من أبطالها ، فليس أحد أعظم فضلا و أكرم يداً على الأمة العربية والمجتمع العربى من هذه الشخصية الكريمة الفريدة ،

و لكن جاء « الاسراء » خطاً فاصلا بين هذه الناحية الضيقة المحلية المؤقتة و بين شخصيته النبوية الخالدة العالمية إذا كان الرسول زعيم أمة أو قائد إقليم أو منقذ عنصر ، أو مؤسس مجد لم يكن فى حاجة إلى الاسراء والمعراج ، و لم يكن فى حاجة إلى سياحة فى عالم الملكوت ، و لم يكن فى حاجة إلى أن تتصل بسببه الأرض بالسماء اتصالا جديداً ، لقد كان فى أرضه التى يعيش فيها و فى محيطه الذى يكافح

فيه ، و فى مجتمعه الذى يسعى لاسعاده غنى و سعة ، لا يفكر فى غيره و لا يتجاوزه إلى رقعة أخرى من الأرض فضلا عن السماوات العلى و سدرة المنتهى ، و فضلا عن المسجد الأقصى الذى يبعد عن بلده بعداً كبيراً ، والذى كان فى ولاية الديانة المسيحية و حكومة الأمة الرومية القوية ،

و جاء « الاسراء » و أعلن أن محمداً صلى الله عليه و سلم ليس من طراز القادة والزعماء الذين لا تتجاوز مواهبهم و جهودهم و دوائر كفاحهم حدود الشعوب والبلاد ، و لا تسعد بهم إلا الشعوب التى يولدون فيها ، والبيئات التى ينبغون فيها . إنما هو من طراز الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض ، و يحملون رسالات الخالق إلى الخلق ،

و تسعد بهم الانسانية على اختلاف شعوبها و طبقاتها ، و عهودها و أجيالها ، و إذا كان منصب القيادة العالمية والسيادة الروحية والسياسية قد نقل إلى أتباعه — و على رأسهم و فى مقدمتهم العرب — كان ذلك إيذاناً بأن

www.abulhasanalinadwi.org

العرب سيكون لهم شأن آخر ، إنهم ينتقلون الآن — بفضل بعثة محمد صلى الله عليه و سلم — من قيادة لا تتجاوز حدود الجزيرة — إن توسعت كثيراً إلى قيادة يشمل العالم كله و تشمل الانسانية كلها ، إنهم لا يفكرون بعد الآن فى القبائل والفصائل ، و فى ربيعة و مضر ، و فى عدنان و قحطان ، إنهم يفكرون الآن ، فى قضايا النوع البشرى كله و سعادته و شقائه ، إنهم لا يكافحون الآن ، للانتصاف بقبيلة فى قبيلة والانتصار للواء دون لواء أو لجمع القبائل المتناحرة المتنافسة تحت لواء عربى واحد و تحت سيادة زعيم واحد ، إنهم يفكرون الآن فى جمع شتات الانسانية و شملها و إيجاد الوحدة والمحبة والثقة والصفاء فى قلوبها المختلفة و أهوائها المتشتتة و كلماتها المتعددة و شعائرها المتضاربة ، إنهم منذ اليوم لا يعيشون لأنفسهم و لا يكافحون لمصالحهم ، إنهم سيعيشون للانسان أينما كان ، و يكافحون للايمان إلى أقصى المكان و إلى آخر الزمان ، لقد ربطت ناصية الانسانية و سعادتها بناصيتهم ، و كتبت لهم الوصاية العادلة الفاضلة على العالم كله ،

ما أعظم التطور الذى حدث فى تاريخ العرب عن إثر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نادت به سورة الاسراء و قصة المعرج فى لغة صريحة بليغة و فى أسلوب مبين مشرق ، و ما أعظم النعمة التى أسبغها الله على العرب . نقلهم من جزيرتهم التى يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذى يقودونه بناصيته ، و من الحياة القبلية المحدودة التى ضاقوا بها إلى الانسانية الواسعة التى يشرفون عليها و يوجهونها ، و أصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذى فأجأ العرب و فأجأ العالم يقولون بكل وضوح و شجاعة لأمبراطور المملكة الفارسية العظيمة و أركان دولته « الله ابتعثنا ليخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام »

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولا إلى سعتها ثم أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخراً ، و هل أضيق من الحياة القبلية والجنسية ، و أوسع من الحياة الانسانية الآفاقية ، و هل أضيق من الحياة التى لا يفكر فيها إلا فى المادة الزائلة والحياة الفانية و لا يجاهد إلا فى

www.abulhasanalinadwi.org

سبيلها من الحياة الايمانية الروحانية التى لا نهاية لها و لا تحديد ،

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ... ضيق الحياة فيها و من ضيق التفكير فى مسائلها و مصالحها ، و من ضيق التناحر على سيادتها ، و من ضيق التكالب على حطامها القليل و ملكها الضئيل و عيشها الذليل ، إلى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية ، ليس الدانوب الفائض والنيل السعيد والفرات العذب والسند الطويل إلا سواقى حقيرة و ترعاً صغيرة فيه ، و ليست جبال الألب والبرانس و عقاب لبنان و قمم هماليا إلا تلالا متواضعة و سدوداً صغيرة ، و ليست البلاد الواسعة كالهند والصين و تركستان إلا أحياء ضيقة و حارات صغيرة ، و نقطاً مغمورة فى هذا العالم ، و ليست هذه الأرض كلها — إذا نظر إليها من ارتقى إلى قمة هذه السيادة — إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق فى السماء ، و ليست الأمم الكبيرة مع ثقافاتها و حضاراتها و آدابها — إلا أسراً صغيرة فى أمة كبيرة ،

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة والايمان العميق والصلة الروحية القوية و كان أوسع ما عرفه التاريخ . و كانت الشعوب التى تكون هذا العالم أقوى أسرة عرفها التاريخ . تنحصر فيها الثقافات المختلفة والعقول المختلفة ، والعبقريات المختلفة . فتتكون منها ثقافة واحدة هى الثقافة الاسلامية ، و تتكون منها عبقرية واحدة هى العبقرية الاسلامية ، التى لم تزل تظهر فى نوابغ الاسلام الذين لا يحصيهم عدد و فى المآثر الاسلامية — بين علمية و عملية — التى لا يستقصيها التاريخ ،

لقد كانت — و لا تزال — قيادة هذا العالم بجدارة و استحقاق أشرف قيادة و أعظمها و أقواها فى تاريخ الزعامة والقيادة ، و قد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية و تفانوا فى سبيلها فأحبهم الناس فى العالم حباً لم يعرف له نظير ، و قلدوهم فى كل شئ تقليداً لم يعرف له نظير ، و خضعت للغتهم اللغات ، و ثقافتهم الثقافات . و لحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم هى لغة العلم والتأليف فى العالم المتمدن من

www.abulhasanalinadwi.org

أقصاه إلى أقصاه ، و هى اللغة المقدسة الحبيبة التى يؤثرها الناس على لغاتهم التى نشأوا عليها و يؤلفون فيها أعظم مؤلفاتهم و أحب مؤلفاتهم ، و يتقنونها كأبنائها و أحسن ، و ينبغ فيها أدباء و مؤلفون يخضع لهم المثقفون فى العالم العربى، و يقر بفضلهم و إمامتهم أدباء العرب و نقادهم ،

و كانت حضارتهم هى الحضارة المثلى التى يتمجد الناس و يتظرفون بتقليدها ، و يحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى و يطلقون على — كل ما يخالفها من الحضارات — اسم « الجاهلية » ، و « العجمية » و ينهون عن اتخاذ شعائرها و مظاهرها ،

و بقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون فى ثورة عليها و فى التخلص منها ، كما هى عادة المفتوحين والأمم المغلوبة على أمرها فى كل عهد ، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هى صلة المتدين بالمتدين ، و صلة المؤمن بالمؤمن ، و على الأكثر إنما هى صلة التابع بالمتبوع الذى سبقه بمعرفة الحق

والايمان بالدعوة والتفانى فى سبيلها ، فلا محل للثورة ، و لا محل للتذمر ، و لا محل لنكران الجميل . إنما اللائق أن يعرفوا لهم بالفضل ، و تلهج ألسنتهم بالشكر والدعاء. و أن يقولوا « ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » (١)

و هكذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية ، والداعى إلى دار السلام ، والقائد إلى الجنة ، والمعلم للحضارة ، والأستاذ فى الأدب.

هذه هى القيادة العالمية التى هيأتها البعثة المحمدية ، و أعلنتها سورة الاسراء و هى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، و يعضوا عليها بالنواجذ ، و يسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآباء الأبناء ، و لا يجوز لهم — فى شريعة العقل والدين والغيرة — أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة . وليس فى غيرها عوض

(١) سورة الحشر ١٠

www.abulhasanalinadwi.org

عنها و كفاية ، و هى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة و هى تسيطر على القلوب والأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح ،

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب ، و هى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول ، الاخلاص للدعوة الاسلامية واحتضانها و تبنها والتفانى فى سبيلها و تفضيل منهج الحياة الاسلامى على جميع مناهج الحياة ،

و بذلك — من غير قصد و إرادة لنيل هذه القيادة و تبوؤها — تخضع لهم الأمم الاسلامية فى أنحاء العالم و تتهالك على حبهم و إجلالهم و تقليدهم ، و بذلك تنفتح لهم أبواب جديدة و ميادين جديدة فى مشارق الأرض و مغاربها ، الميادين التى استعصت على غزاة الغرب و مستعمريه و ثارت عليه ، و تدخل أمم جديدة فى الاسلام ، أمم فتية فى مواهبها و قواها و ذخائرها أمم تستطيع أن تعارض أوربا فى مدنيتها و علومها إذا وجدت إيماناً جديداً ، و ديناً جديداً ، و روحاً جديداً و رسالة جديدة ،

إلى متى أيها العرب تصرفون قواكم الجبارة التى فتحتم بها العالم القديم فى ميادين ضيقة محدودة ، و إلى متى ينحصر هذا السيل العرم — الذى جرف بالأمس بالمدنيات والحكومات — فى حدود هذا الوادى الضيق ، تقطع أمواجه و يلتهم بعضها بعضاً ، إليكم هذا العالم الانسانى الفسيح الذى اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته ، كانت البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد فى تاريخ أمتكم و فى تاريخ العالم جميعاً و فى مصيركم و مصير العالم جميعاً ، فاحتضنوا هذه الدعوة الاسلامية من جديد و تفانوا فى سبيلها و جاهدوا فيها ، « و جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم النصير (١) ،

(١) سورة الحج ٧٨

www.abulhasanalinadwi.org